أسلوبيّة التمني في القرآن الكريم
في أداته الأصل"ليت"

إعداد : ماجدة فاخر شامخ الإزيرجاوي

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها / لغة

وزارة التربية / مديرية تربية الرّصافة الأولى

معهد إعداد المعلمات

ملخص البحث في
أسلوبية التمني في القرآن الكريم
بأداته الأصل"ليت"

بسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم

التّمنّي هو الرّغبة في تحقيق شيء محبوب وقوعه ، سواء أكان ممكن التحقق مثل :"ليت زيدا قائم" ، أم غير ممكن ، مثل : "يَا لَيْتَ أيَامَ الصِّبَا رَواجِعاً".

وقد يحصل التّمنّي من غير استعمال أداة ، أعني أن يكون التمني ضمنيّاً ، ولكنّ المشهور في كلام العرب أنّ أسلوب التمني يكون بوساطة الأداة "ليت" ، وهي أداته الأصل .

وقد كانت دراستي في هذا البحث متوجهة صوب التعبير القرآني ؛ إذ وردت فيه أربع عشرة آية حصل فيها التمني بالأداة "ليت" . وقد توخيت في دراستها الكشف عن المراد من التمني أو مناسبته أو ظرفه ، ومن ثمّ معرفة الأسلوب المتّبع في إثارة هذه الأمور ، وذلك من النظر في تركيب الأداة ومعموليها . وقد تبيّن لي في هذا البحث أنّ التصريح بالتمني قد جاء في هذه الآيات ، وهو يحمل غايتين ؛ إحداهما دنيوية " يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ" ، "ياليتني متّ قبل هذا"، "ياليت لنا مثل ما أوتي" ، وثانيهما أخروية ؛ وقد تضمنتها الآيات الأخرى جميعها .

وتبيّن أيضا أنّ "ليت" كانت ملازمة لـ "ياء" النداء و"ياء" المتكلم في ثمان آيات تدلّ سياقاتها على ألم شديد وحسرة مفرطة ، إشارة إلى قوّة العبارة "يا ليتني" ودقّتها في التعبير عن تلك المعاناة .

وظهر أنّ هذا التلازم في الآيات جميعها ، أدّى إلى إثراء النّص بمعان مضافة إلى التمنّي ، وهي الاستغاثة والتنبيه والاستصراخ والندم وشدّة الأسف .

وظهر لي أيضا أنّ اسم "ليت" لم يرد في التعبير القرآني على صورة واحدة ، فقد جاء ضميرا للمتكلم مرّة ، وضميرا للمتكلمين مرّة ثانية ، وضميرا للغائبة مرّة ثالثة ، واسما منفردا مرّة رابعة ، على وفق السياق الذي ترد فيه هذه الأداة .

وكذلك تبيّن لي أنّ اسم "ليت" جاء منفردا عنها غير متأخر عن خبره مرّة واحدة ، وهو قوله تعالى :"يا ليت قومي" . أمّا خبرها فقد جاء متنوعا ، بين الجملة الفعلية ، وشبه الجملة .

Stylistic wishful thinking in the Quran
With the Originally instrument "Late"(=wish)

By

Dr- Majida Fakhir Shamikh

Institute of Teachers Training for Girls

Stylistic wishful thinking in the Quran
With the Originally instrument "Late"(=wish)

In the name of God the Merciful.

Abstract

Wishful thinking is the desire to achieve something lovable hindsight, whether it is possible verification, such as: "Late Zaid based", or is not possible, such as: "Oh, I wish(Late) days of boyhood comeback.

Wishful thinking may get is the use of a tool, I mean to be wishful thinking implicitly, but in the words of famous Arab style wishful thinking be mediated tool "Late", which is the original instrument.

The studies in this research heading towards the Qur'anic expression; since received a fourteen verse where he got wishful thinking tool "I wish." The envisaged in the study to detect the meaning of wishful thinking or the reason of use or circumstance and then figure out the method of raising these things, so consider installing a tool and its parts. Has been shown to me in this research that the statement wishful came in these verses, which carries two purposes; one mundane, "I wish I was with them," "I wish died before this", " Oh,We wish(Ya Late) like his might," and the second hereafter; been included in other verses all.

It was also found that the "Late" was inherent for "Ya" appeal ,and "Ya" speaker in eight verses contexts indicates severe pain and heartbreak too, a reference to the power of words, "I wish" and accuracy in the expression of those suffering

It appeared that this correlation in all verses, led to enrich the text added to the senses wishful thinking, distress, alert, The Cry and remorse and regret intensity.

And appeared to me also that the name of "Late" did not appear in Qur'anic expression on one image, came conscience of the speaker once, and conscience of the speakers again, and conscience of the absent third time, and a name solo fourth time, according to the context in which it appears this tool.

And also showed me that the name "Late" came her solo is not late for the newsworthy once, which says: "Oh, nationalist." As he had witnessed came varied, between the verb sentence, and semi-sentence.

نصّ البحث

بسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم

تقديم

التّمنّي هو الرّغبة في تحقيق شيء محبوب وقوعه ، سواء كان ممكن التحقق مثل :"ليت زيدا قائم" ، أم غير ممكن ، مثل : "يَا لَيْتَ أيَامَ الصِّبَا رَواجِعاً"[1].

وماهيّة التمني غير ماهيّة الترجي ، لأنّ الأوّل – كما ذكرت – يستعمل في الممكن والمحال [2]، أمّا الآخر فإنّه يستعمل بالممكن ، أو بعبارة أدق : أنّ التمني هو محبّة حصول الشيء ، سواء كنت تنتظره وترتقب حصوله أم لا ، والترجي : ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله ، فمن ثمّ لا يقال : لعلّ الشّمس تغرب ، فيدخل في الارتقاب "الطمع"و"الاشفاق" ، فالأوّل ؛ ارتقاب شيء محبوب ، نحو : "لعلّك تعطينا" ، والآخر ؛ ارتقاب المكروه ، نحو :"لعلّك تموت السّاعة" .

وقد يحصل التّمنّي من غير استعمال أداة ، أعني أن يكون التمني ضمنيّاً ، ولكنّ المشهور في كلام العرب أنّ أسلوب التمني يكون بوساطة الأداة "ليت"[3] وهي أداته الأصل - وذلك ما يعنينا في هذا البحث - .

أمّا بعد ...

فإنّ دراستي في هذا البحث – المتواضع – متوجهة صوب التعبير القرآني ؛ إذ وردت فيه أربع عشرة آية حصل فيها التمني بالأداة "ليت"[4]. وقد توخيت في دراستها الكشف عن المراد من التمني أو مناسبته أو ظرفه ، ومن ثمّ معرفة الأسلوب المتّبع في إثارة هذه الأمور ، وذلك من النظر في تركيب الأداة ومعموليها .

---

[1] - ينظر : ديوان العجاج : ٣٠٦/٢ .

[2] - ينظر : الجنى الداني : ٤٩١ .

[3] - ينظر : الكتاب : ٢٣٣/٤ .

[4] - المعجم المفهرس : ٦٦٠-٦٦١ .

وهكذا تشكّلت مادّة البحث من أربعة عنوانات على وفق ذلك التركيب ، وهي : "ليت" المسندة إلى "ياء" المتكلم ، وقد تضمنتها ثمان آيات ، و"ليت" المسندة إلى الضمير "نا" وتضمنتها آيتان ، ثمّ "ليت" المسندة إلى ضمير الغائبة "الهاء" وتضمنتها آية واحدة فقط ، وأخيرا "ليت" المجرّدة وتضمنتها ثلاث آيات .

وقبل الشروع في عرض مادة البحث ، لابدّ من تبيانٍ موجزٍ لعمل هذه الأداة وما تحمله من دلالة .

عملها ودلالتها

تقع "ليت" ضمن حقل النواسخ الثانية – أعني إنّ وأخواتها -[5] ، إلاّ أنّها انفردت عن هذه النواسخ بجملة من الأمور ، وهي :

١- إنّها تختص بأسلوب يلتزم فيه العرب حذف خبرها ، وهو قولهم : "ليت شعري" ، فيحذف خبرها باطراد يلتزمون أن يذكروا اسمها ، وأن يكون هذا الاسم كلمة"شعر" مضافة إلى "ياء"المتكلم ، وبعدها الخبر المحذوف وجوبا ، ثمّ تذكر بعده جملة مصدّرة باستفهام مثل : "ليت شعري أمقيم أخي أم ظاعن ؟" وغير ذلك ، يريدون "ليت شعري عالم بجواب هذا السؤال ...أو مخبر بجوابه" . أمّا في غير تلك الحال ؛ فيجوز حذف الخبر وحده لدليل ؛ عملا بالقاعدة اللغوية التي تبيح -عند أمن اللبس - حذف ما لا يتأثر المعنى بحذفه .

٢- تختص باستغنائها عن اسمها وخبرها إذا دخلت على "إنّ" المشدّدة ومعموليها ، لأنّ المصدر المؤوّل يسدّ مسدّ معموليها ؛ مثل قولنا:"ليت أنّ الصّحةَ دائمةٌ" ، أي أنّها تدخل على المصدر المؤوّل فيتمّ الكلام بعدها .

٣- لا تدخل "سوف" على خبرها فلا يقال :"ليت الصّحةَ سوف تدوم" ، لأنّ سوف تدخل على ممكن تحقيقه وادراكه . وكذلك لا تدخل الفاء على خبرها .

---

[5] - وهي ستة أحرف أو سبعة ، تنصب الاسم وترفع الخبر ، وفيها شروط عدّة لا مجال لذكرها في هذا البحث . ينظر في ذلك : الكتاب : ٢/ ١٣٧- ١٣٨- ١٤٨ ، ٢٦٠/٣ ، وشرح ابن عقيل : ٦/٢-٧ .

٤- لم يرد خبرها اسما ، فهو أمّا جار ومجرور أو ظرف أو جملة فعليّة [٦].

٥- عندما تقترن بـ "ما" يبقى اختصاصها بالاسماء ، فلا يقال :"ليتما قام زيد" ، وكذلك يبقى عملها لبقاء الاختصاص ، بمعنى أنّها لا تكون والحال هذه مهملة كأخواتها ، وأجاز ذلك سيبويه ، وذكر أنّ عملها يأتي من جهة أنّ "ما" تكون بمنزلة الاسم ، أمّا إهمالها فيأتي من جهة أنّها تنزل منزلة الحرف- أي مبهمة - فيكفّها عن العمل[٧] .

الآيات على وفق اسناد"ليت"

(أ) : "ليت" المسندة إلى "ياء" المتكلم وخبرها جملة فعلية ، فعلها ماضٍ ، وردت في خمس آيات هي :

١- قوله تعالى :**"وَلَئِنْ أَصَابَكُم فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُوْلَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوْدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوْزَ فَوْزاً عَظِيْماً"**[٨] .

٢- قوله تعالى :**"فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً"**[٩] .

٣- قوله تعالى :**"وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُوْلُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُوْلِ سَبِيْلاً"**[١٠] .

٤- قوله تعالى :**"إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذاباً قَرِيْباً يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُوْلُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً"**[١١] .

---

[6] - ينظر : مغني اللبيب : ٣١٦/١ ، والبرهان في علوم القرآن : ٣٩٥/٤ ، والنحو الوافي : ٥٧٢/١ .

[7] - ينظر : الكتاب : ١٣٧/٢- ١٣٨ .

[8] - النساء : ٧٣ .

[9] - مريم : ٢٣ .

[10] - الفرقان : ٢٧ .

[11] - النبأ : ٤٠ .

٥- قولـه تعـالى :**"وَجِـيْءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَـهُ الذِّكْرى يَقُوْلُ يَـا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي"**[١٢] .

(ب) : "ليت" المسندة إلى "ياء" المتكلم وخبرها جملة فعلية ، فعلها مضارع وردت في ثلاث آيات هي :

١- قوله تعالى :**"وَأُحِيْطَ بِثَمَرِهِ ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى مَا أَنْفَقَ فِيْهَا وَهِي خَاوِيَّةٌ عَلى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً"** [١٣] .

٢- قوله تعالى :**"يَاوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلاناً خَلِيْلاً"**[١٤] .

٣- قوله تعالى :**"وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ، فَيَقُوْلُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْتَ كِتَابِيَه"**[١٥] .

(جـ) : "ليت" المسندة إلى الضمير"نا" وردت في آيتين هما :

١- قوله تعالى :**"وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ"**[١٦] .

٢- قولـه تعـالى :**"يَـوْمَ تُقَلَّـبُ وُجُـوْهُهُمْ فِـي النَّـارِ يَقُوْلُـوْنَ يَـا لَيْتَنَـا أَطَعْنَـا اللهَ وَأَطَعْنَـا الرَّسُوْلا"**[١٧].

(د) : "ليت" المسندة إلى ضمير الغائبة "الهاء" وردت في آية واحدة فقط ، هي :

- قوله تعالى :**"يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ"** [١٨].

(هـ) : "ليت" المجردة ، وردت في ثلاث آيات ، هي :

١- قوله تعالى :**"فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِيْنَتِهِ ، قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوْتِيَ قَارُوْنُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيْمٍ"**[١٩] .

---

[12] - الفجر : ٢٤ .

[13] - الكهف : ٤٢ .

[14] - الفرقان : ٢٨ .

[15] - الحاقّة : ٢٥ .

[16] - الأنعام : ٢٧ .

[17] - الأحزاب : ٦٦ .

[18] - الحاقة : ٢٧ .

[19] - القصص : ٧٩ .

٢- قوله تعالى :**"قِيْلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُوْنَ"**[٢٠] .

٣- قوله تعالى :**"حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرِيْنُ"**[٢١] .

"دراسة عامّة على مستوى العبارة"

إنّ الصورة التركيبية التي عليها "ليت" ، تتطلب منّا وقفة ليست يسيرة لدراستها ، فقد لازمت"ياء" النداء في الآيات المذكورة جميعها من غير أن يفرّق بينهما المنادى ، وهذا أمر لافت للذهن ، ولا سيّما حضورها ضمن السياق العام للآية ؛ إذ إنّ هذا التّشكّل يُشعِر بانفعال المتكلم – المتمنّي – وحسرته ، فهو يؤنّب نفسه ويعاتبها بشدّة ؛ فكأنّه يوجّه النداء إليها ؛ "يا نفس ليتني" أو "يا نفسي ليتني" .. وما شابه ذلك .

فالنداء بهذه الصورة يكون صادرا من النفس إلى النفس ، وهذه نكتة بلاغية لا تأتي إلاّ في كلام معجز هو كلام الله عزّ وجلّ .

ولا يتوقف جمال العبارة عند هذه المفارقة ، إذا ما علمنا أنّ الأداة"يا" تحمل دلالة أخرى غير النداء ، أعني بها دلالة التنبيه ، وعندئذ لا يكون في حضور المنادى من مسوّغ ، وذلك أرجح[٢٢] ، فإن تلازم التنبيه مع التمني بهذا التّشكل وفي مثل هذا السياق – أعني وجودها في الآيات المذكورة – يشعر بصرخة مدوّية صادرة من نفس محطمة ، لتمثل أقصى حالات الجزع والقنوط والألم والحسرة . وكأنّ لسان حال المتمني يتلو قوله تعالى :**"رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيْمَا تَرَكْتُ"**[٢٣]، إذا كان التمني في الآخرة .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ تكرار التلازم بين "ليت" وأداة التنبيه في معظم النصوص الوارد فيها التمني ؛ سواء أكان في التعبير القرآني -إذ هو المعيار الأرقى للّغة العربية –

---

[20] - يس : ٢٦ .

[21] - الزخرف : ٣٨ .

[22] - ينظر البحر المحيط : ٤١٥/٣ .

[23] - المؤمنون : ٩٩-١٠٠ .

أم في التراث العربي الخالد من شعر أو نثر ؛ فهو سمة أسلوبيّة لافتة للذهن لا بدَّ من وجود غاية وراءها .

فحينما نطّلع على بعض ما جاء من أمثلة في الشعر العربي ، كقول النابغة الذبياني في ذكر زرقاء اليمامة :

قالت : ألا ليتَما هذا الحَمامُ لنا

إلى حمامتِنا ونصفُه فقَدِ[٢٤]

فإنّا نجد الشاعر يلجأ فيه إلى التنبيه أيضا قبل أن يصرّح بالتمني ، ولكن باستعمال أداة أخرى غير "الياء" ، وهي "ألا" ؛ فيكون التنبيهان في هذا الموضع مفترقين لافتراق الأداة .

ومثله أيضا قول أبي العتاهية المشهور :

ألاَ ليْتَ الشَّبَابَ يَعُوْدُ يَوْماً

فأخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيْبُ[٢٥]

إذ عمد الشاعر فيه إلى التنبيه قبل ذكر أداة التمني ، ولكن باستعمال الأداة "ألا".

ونرى أنّ ذكر هذه الأداة في مثل هذين السياقين فيه دلالات عدّة ، ولا سيّما في البيت الثاني ؛ فزيادة على ما تفيده هذه الأداة من تنبيه واستفتاح وعرض ؛ فإنها تشعر بحسرة تنبعث من روح متأوّهة ، محزونة على ضياع ما كان في اليد ، ومن ثمّ لا يمكن استرداده .

غير أنّنا نجد التمني مع "ياء" النداء أشدّ حسرة وأعظم صرخة ممّا في الأداة الأخرى ، فكأن النّفس – فيه - تفاجأ توّاً بمصيرها ، فلم تدخل في مسلّمات ما قضي لها ، ولعلّ ذلك يعود لأسباب تتعلق بهذه الأداة ؛ منها :

---

[24] - ديوان النابغة الذبياني : ٢٤ .

[25] - ديوان أبي العتاهية : ٤١ .

- إنّ "الياء" أكثر تصريحا بالنداء من غيرها ، فهي الأداة الأصل فيه ، وذلك لزيادة مدّ الصوت فيها بتجاور الحرفان الهوائيان "الياء" و"الألف" .

- إنّها – زيادة على ذلك - تفيد التنبيه .

- إنّ هذه الصورة التي ركّبت فيها "الياء" مع "ليت" - أعني يا ليتني – شكّلت تناغما صوتيا متناسقا ، تواشجت فيه "يا" النداء مع "ياء" المتكلم الساكنة (يا...ي) ، إذ يرتفع الصوت أوّلا حين النطق ، ثمّ يتبعه انخفاض تراتبي ، يجعل هذه العبارة وكأنّها قطعة موسيقية متكاملة في آخر الأمر – أي ما يقابل النوتة الموسيقية في غير القرآن الكريم - .

وأغلب الظنّ أنّ استعمال هذه الصيغة التي تجتمع فيها بعض الأصوات أو الأدوات ؛ كما في "ياء" النداء أو "ألا" التنبيهية أو "ياء" المتكلم ، مع "ليت" ، قد يراد به إتمام صورة التمني ، أو الوصول به إلى أعلى وأدق المستويات التعبيرية ، ممّا لو استعملت أداة التمني مجرّدة – والله أعلم - .

دراسة على مستوى الإسناد/معمولا "ليت"

- "ليت" المسندة إلى "ياء" المتكلم وخبرها جملة فعلية فعلها ماضٍ، وتمثلها الآيات الخمس الأولى من التقسيم المتقدّم ذكره[٢٦].

فقد وُجّه التمني في هذه الآيات الكريمة إلى الذات المتكلمة ، أي : أنّ رغبة حصوله تكون من باب التملك الذاتي ، لذلك أسند ما يدل عليها – أي الذات - إلى الأداة تلازميا ، وهي "ياء" المتكلم ، ولم يأت القول فيه بصيغة : يا ليت نفسي كذا أو يا ليت أنا كذا ... لأنّ العبارة "يا ليتني" تحقق فيها أمران : أوّلهما : أنّها بهذه الصيغة أكثر تعبيرا عن الشعور بالندم والحسرة ممّا لوكانت – على سبيل المثال – يا ليت نفسي . وآخرهما : هو تحقق الانسجام الصوتي بين "ياء" النداء في أوّل العبارة و"ياء" المتكلم في آخرها . وذلك بسبب المد في الأولى "يا" وليس كذلك في الأخرى "ي" ، ممّا يشكل جرسا موسيقيا تصرّح به العبارة كلّها .

---

[26] - ينظر : ص٢ من هذا البحث .

يا ليتني " كنت ، متّ ، اتّخذت ، قدّمت " ، هذه الجمل الفعلية هي أخبار لـ "ليت" ، وإذ إنّها جاءت في الزمن الماضي ، وكلّ فعل مع "ليت" لا يجوز له أن يحمل معنى المضارعية أو المستقبلية ، وذلك لأنّ التمنّي يكون لأمر يتعلّق بالمستحيل غالباً وبالممكن قليلاً [٢٧]، وهذا لا يحصل إلاّ مع الفعل الماضي ، فإنّ المراد من التمني والحال هذه ؛ محالٌ ، لأنّ التعبير القرآني في الآيات الكريمة المذكورة صادر عن مرحلة متقدّمة على مرحلة التمني ؛ وهو يوم القيامة ، والمتمنّي يريد العودة إلى الدّنيا ليعمل صالحاً ، هذا ما صرّحت به الآيات الثلاث الأخيرة ، لأنّ الآيتين الأوليين وقع التمني فيهما في الدّنيا .

ففي الآية الأولى يتمنى المنافق أن لو كان مع المؤمنين في حيازتهم الغنائم ، حسدا منه لهم ، فلم يكن حزنه على أمر تكليفي أعرض عن أدائه أو قصّر فيه ، وإنّما حزن على أمر دنيوي ؛ إذ لم يحظ بالغنيمة مع المجاهدين ، وهو المبطيء المتخلف عنهم[٢٨]، فأظهر الأسف حسدا منه ، لأنّ الحصول على الفضل والمال في ظنّه إنّما هو الفوز العظيم ، أمّا الجهاد مع المؤمنين فلا يكون إلاّ نقمة [٢٩] ، وتلك صفة المنافقين .

أمّا الآية الثانية وهي المحكيّة على لسان مريم "ع" ؛ فإنّها تحمل شعورا بحزن عظيم يقرُب من الجزع ، فهي من عظيم ما ألّم بها "ع" تمنّت الموت : يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذا وَكُنْتُ شيئا مَنْسِيّاً لا يعبأ به ولا يكون له ذكر أو خبر . وهي إنّما تمنت ذلك استحياءً من النّاس وخوفا ممّا سيجري عليها منهم إذا رموها بالبهتان والافتراء ، فكيف تُبيّن لهم براءتها واختصاص الله إيّاها بغاية الإجلال والإكرام ؟، فحزنها لم يكن على أمر الله ، لأنّها مسلّمة لذلك عالمة بحكمه مع شدّة التكليف عليها [٣٠]، وإنّما أرادت أن تتجاوز المرحلة التي هي عليها – من الكرب الشديد – لذلك قالت : يا ليتني متّ ولم تقل يا ليتني أموت أو ميّتة .

---

[27] - ينظر : مغني اللبيب : ٢٢١/١-٢٢٢ .

[28] - ينظر : البحر المحيط : ٣٠٥/٣ .

[29] - ينظر الميزان : ٢٣٠/٤ .

[30] - ينظر : المصدر نفسه : ٤١/١٤-٤٢ .

- "ليت" المسندة إلى "ياء" المتكلم وخبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، وتمثلها الآيات الثلاث في النقطة "ب" من الترتيب المتقدّم .

يا ليتني "لم أشرك ... لم اتّخذ ... لم أوت" ، هذه التراكيب لا تبتعد عن سابقاتها من جهة الصورة والدلالة ؛ إذ إنّ الفعل الوارد فيها وإن كان مضارعا فإنّ معناه انقلب بأثر الأداة إلى الدلالة الماضوية ، ممّا جعل التمنّي يدخل في المحال أيضا .

وهذه الصيغ بعامّتها توحي بقوّة تعبير وفاعليّة أشدّ ممّا لو كان الفعل ماضيا ، ولعلّ ذلك مأتيٌّ من حضور الأداة"لم" التي جعلت الفعل المضارع في حال منفيّة ومتغيّرة المعنى ، فضلا عن استمرارية الحدث المنفي إلى زمن التكلّم ، ومن ثمّ اكتسب السياق العام للآية توكيدا آثر وأشدّ ممّا لو كان على هيئة : ما أشركت .. ما اتّخذت .. ما أوتيت . وكذلك لا يمكن أن نغفل ما يحدثه الجزم من قوّة تعبير في المفردة التي يرد فيها ، بسبب الوقف عليه ولا سيّما إذا كان الجزم سكوناً فإنّه يتواشج مع سكون الأداة كما في قوله تعالى : "لمْ أشرِكْ" .

ويمكن معرفة آثار هذا الأسلوب من النّظر إلى أحوال الكافرين المحكيّ عنها في هذه الآيات الكريمة ، وتقلبهم بين التّمسّك بالإثم والطغيان والتّشبّث بالتمني بعد أن أدركوا عظم الخطيئة التي اقترفوها .

ففي الآية الأولى ؛ إذ ورد فيها التمني على لسان الكافر ، فيقول : "يا ليتني لم أشرك بربّي أحدا"، قالها بعد أن شعر بالفزع ، فأظهر الندامة على من بدا منه من تعنت وكفر وطغيان ، فهو ظالم لنفسه كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم :**"وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ"**[31] ؛ إذ غرّه ماله وافتخر بما يملك من أسباب النعمة التي أنكر أنّها مقدّرة له بمشيئة الله ، ثمّ "أصبح يقلّب كفّيه" حسرة ولوعة ، بعد أن أحيط بثمره وأصبحت جنته خاوية على عروشها ، فأيقن أنّه خاب سعيه وهلكت نفسه [32].

أمّا الآية الثانية فإنّ فيها مطلبا بلاغيا ذا منحى لطيف ودقيق ، وهو التدرج في الاستغاثة من النداء والتنبيه إلى التأوّه والحسرة ، المستوحات جميعها من القول : "يا

---

[31] - الكهف : ٣٥

[32] - ينظر : البحر المحيط : ٦/١٦٠-١٦١ .

ويلتي ليتني" ، ثمّ الإلتفات إلى ذكر ما تمنّى وهو ترك اتخاذ فلانا خليلا : "لم اتّخذ" ، وكذلك جعل النداء لصيقا بلفظ الاستغاثة ليفصل بينه وبين لفظ التمني ، طلبا للتناسق والانسجام الصوتي .

فقوله : "يا ويلتي" يدّل على أنّه أدرك أن لا منج له ولا مخلص من العذاب سوى الهلاك ، ثمّ أعقب ذلك بقوله : "ليتني" اشفاقا على نفسه ، من أن لو ترك ولاية فلان لنجى .

وقد قيل : إنّ الله - عزّ وجلّ- أراد بذكر "فلان" في الآية المذكورة ؛ الشيطان [33]، ولكنّا نراه بعيدا ، لأنّ الله سبحانه وتعالى لو أراد ذكر الشّيطان لصرّح به ، ولكن القريب إلى الصواب أنّه تعالى أراد إخفاء اسما بعينه ، تعميّة على من لازمت نفسه العنت والكبر - والله أعلم - .

أمّا الآية الثالثة وهي قوله تعالى : " يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْتَ كِتَابِيَه"[34]، تمنى الكافر فيها أن لا يبرح الماضي ، فيبقى مستأنسا بمعاصيه ، فيلتذ بمتاع الدّنيا وحطامها ، وأن لا يصدم باليقين الذي ينتظره ، حينما يُحشَر النّاس ليوم الفصل ليروا صحف أعمالهم ، فيكون هو من الخاسرين ؛ إذ أوتي كتابه بشماله ، فأدرك عندها مصيره ، وأظهر الجزع والحسرة فقال أسِفاً :"وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَ"[35] .

- "ليت" المسندة إلى الضمير "نا" وقد وردت في الآيتين اللتين تضمنهما الجزء "جـ" من الترتيب المتقدّم ذكره .

إذ إنّنا نجد في هذا التعبير أنّ "ليت" خرجت من صيغتها الأولى الملازمة لـ "ياء" المتكلم ، لتنعطف من الفرديّة إلى جمع المتكلمين ، وقد يكون صاحب الخطاب – أعني المتمنّي – فردا ، ولكن تعظيم الحدث وتهويله يتطلب تغيير الصيغة .

وقد تطابق التمني بصحبة "نا" في هاتين الآيتين مع من طلب التمني ؛ جمعا بجمع .

---

[33] - ينظر : الكشاف : ٣٢٧/٣ ، والميزان : ٢٠٣/١٥-٢٠٤ .

[34] - الحاقّة : ٢٥ .

[35] - الحاقة : ٢٦ .

وليس تقوى عبارة "يا ليتنا" قوّة "يا ليتني" ، وذلك لأنّ الأسلوب في تلك الآيات يستدعي تصعيدا عميقا يخرج من بواطن النفس الطامعة بالنجاة برحمة الله وعطفه ، ومن ثمّ الخلاص من سخطه وغضبه ، على اختلاف أحوال أصحاب الخطاب .

أمّا في هذا التعبير ؛ فيبدو فيه المتمنّين - وهم أصحاب النّار- كأنّ أصابهم القنوط واليأس من الرّحمة والنجاة بعد أن قلِبَت وجوههم في النّار ، وعلموا أن لا منجا لهم ، تمنّوا لو لم يفعلوا تلك الفعال التي انتهت بهم إلى سوء المصير . ولكن تحقّقُ التمنّي خارج معدوم ، ممّا يجعل أملهم كاذبا ، فلا ينفع صراخهم بدعوى أن لو ردّوا إلى الدّنيا عملوا صالحا :"يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ"[٣٦]، فكما يقال :"كذّبك أملك"[٣٧] ؛ إذ كان جواب ادّعائهم "إنّهم كاذبون" . فالتمني وإن كان إنشاءً لايحتمل الصدق أو الكذب ، فإنّ سياق الأية الكريمة يوحي بالإخبار لا الإنشاء .

- "ليت" المسندة إلى ضمير الغائبة "الياء" وقد وردت في الآية المتضَمّنة في الجزء"د"وهو قوله تعالى :"يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ" [٣٨].

نجد التمنّي في هذه الآية وهو ملازم للنداء ، موجّها إلى غائب متعلق بالنفس ، أي : إرادة فعله هوَ ، لا إرادة فعل الذّات "ياليتني"و"يا ليتنا"، فكأنّ الكافر يقول : يا ليت الموتةَ التي متّها "كانت القاضية" أي القاطعة لأمري ، وذلك لهول ما رآه من العذاب الذي هو أشدّ وأمرّ ممّا ذاقه من عذاب الموت[٣٩] .

والتمنّي في هذه الآية صادر عن تلك النّفس التي أوتيت كتابها بشمالها ، فتمنّت لو لم تؤتَ كتابها : " يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْتَ كِتَابِيَه"[٤٠] ، فهو تداع وتكرار لحالة التمنّي من نفس واحدة ، لكن التمنّي في تلك الآية يشير إلى حال المشرك يوم القيامة بدليل اسناده إلى المضارع ، فضلا عن تصريح السورة بذلك . أمّا في هذا الموضع فإنّ الحال تفترق ، لأنّ التمنّي

---

[36] - الأنعام : ٢٧ .

[37] - الميزان : ٥٦/٧ .

[38] - الحاقة : ٢٧ .

[39] - ينظر الكشاف : ٤٥٧/٤ .

[40] - الحاقّة : ٢٥ .

يلتفت إلى أمر قد مضى شأنه ، وهو حال المشرك قبل البعث حينما كان ميتا ، لذلك جاء الفعل بصيغة الماضي - والله أعلم - .

- "ليت" المجرّدة ، وقد وردت في الآيات الثلاث التي تضمّنها الجزء "هـ" . "يَا لَيْتَ لنَا مِثْلَ مَا أُوْتِيَ قَارُوْنُ"..."يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُوْنَ"... "يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ" .

ظهرت "ليت" في هذه الآيات مفترقة عن الضمير ، فقد حال بينها وبينه - في الآيتين الأولى والثالثة - الخبر ، وهو شبه جملة ، جار ومجرور في الأولى ، وظرف مكان في الأخرى ، وسبب التقديم من جهة الضابط النحوي ؛ هو مجيء اسم "ليت" نكرة وخبرها شبه جملة [41]، ومن الوجهة البلاغية ، فإنّه يدلّ على الاختصاص والاهتمام ، وهو يمثل أيضا براعة القول بدقّة الصياغة وحلاوة التعبير ؛ إذ تلتفِت الأذهان إلى متقدّم حقّه التأخير ، فتتحقق عندها أهميته .

فشبه الجملة "لنا" في الآية الأولى أكّدت في تقدّمها على حصر التمني في الذين يحبّون عرض الدّنيا ، بدليل حضور الضمير "نا" العائد إليهم ، فقد وهموا أنّ قارون كان يحظى بسعادة عظيمة بما أوتي من مال ؛ فتمنّوا أن يكون لهم مثلما كان له ، رغبة في اليسار والثروة .

وقد قيل : إنّهم تمنّوا ذلك من باب الغبطة لا الرغبة[42] ، غير أنّ سياق الآية الكريمة مع ما تقدّمها من آيات ، لا يدّل على الغبطة .

ومثل ذلك الآية الثالثة ، إلاّ أنّ التمنّي فيها ليس في الحياة الدّنيا ؛ بل في الآخرة ؛ إذ تمنّى صاحب الخطاب أن لو لم يتّخذ الشيطان َقرينا – بتصريح الآية الكريمة **"وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ"**[43] - فيكون بينهما بعد المشرقين ، ذلك حينما رأى العذاب الذي أعدّ له ، وعلم أنّه هالك لا محالة .

أمّا في الآية الثانية فإنّ التمنّي فيها صادر عن الذات إلى ما هو خارج عنها – أي تمنّي للغير لا للنفس - ، وهي لفظة "قومي" المتمثلة باسم "ليت" فلحقت بها من غير فاصل ،

---

41 - وهذه الصورة جائزة في النحو ، تراجع في ذلك المصادر النحوية .

42 - ينظر البحر المحيط : ١٧٢/٧ .

43 - الزخرف : ٣٦ .

وتنفرد "ليت" في هذه الآية عن الآيات الأخرى بمجيء اسمها بعدها اسما ظاهرا منفصلا لا ضميرا متصلا .

وعلى أيّة حال ، فإنّ مضمون التمنّي ؛ هو أنّ الرجل الصالح "حبيب النّجار" طلب من قومه أن يتركوا ما هم عليه من ضلال ، فيعبدوا الله الواحد الأحد ، ويتّبعوا الرّسل ، ولمّا رأى منهم الإعراض والتعنت ، وقد رأى نعيم الآخرة ؛ تمنّى أنّهم لو عاينوا ما هو عليه من النعيم ، إذن لعدلوا عن غييهم وكفرهم ، وذلك مصداق قوله تعالى :**"إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ، قِيْلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُوْنَ ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ"**[44] .

نتائج البحث

إنّ خلاصة ما توصّلتُ إليه في الأسطر اليسيرة الماضية هو :

- إنّ التصريح بالتمني قد جاء على وفق أداته الأصل"ليت" في أربع عشرة آية ، وهو يحمل غايتين ؛ إحداهما دنيوية " يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ" ، "ياليتني متّ قبل هذا"، "ياليت لنا مثل ما أوتي" ، وثانيهما أخروية ؛ وقد تضمنتها الآيات الأخرى جميعها .

- جاءت "ليت" ملازمة لـ "ياء" النداء و"ياء" المتكلم في ثمان آيات تدلّ سياقاتها على ألم شديد وحسرة مفرطة ، إشارة إلى قوّة العبارة "يا ليتني" ودقّتها في التعبير عن تلك المعاناة .

- واستنادا إلى النقطة المتقدّمة ؛ فإنّ تلازم "ليت" مع "ياء" النداء ، في الآيات جميعها ، أثرى النّص بمعان مضافة إلى التمنّي ، وهي الاستغاثة والتنبيه والاستصراخ والندم وشدّة الأسف .

- لم يكن اسم "ليت" على صورة واحدة ، فقد جاء ضميرا للمتكلم مرّة ، وضميرا للمتكلمين مرّة ثانية ، وضميرا للغائبة مرّة ثالثة ، واسما منفردا مرّة رابعة ، على وفق السياق الذي ترد فيه هذه الأداة .

---

[44] - يس :٢٥- ٢٦- ٢٧ .

- مجيء اسم "ليت" منفردا عنها غير متأخر عن خبره مرّة واحدة ، وهو قوله تعالى :"يا ليت قومي" .

- جاء خبرها متنوعا ، بين الجملة الفعلية ، وشبه الجملة .

مظانّ البحث

القرآن الكريم

- البحر المحيط – أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي(ت٧٤٥ هـ) – تح : د٠عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،ط ١ ، ٢٠٠٢م .

- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤ هـ) – تح : محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة ، ١٩٥٧م .

- الجنى الداني في حروف المعاني – الحسن بن أم قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) – تح : د٠ فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ،١٩٩٢م .

- ديوان أبي العتاهية – الأنوار البهية في ديوان أبي العتاهية - جمعه أحد الآباء اليسوعيين – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط ٣ ١٩٠٩م .

- ديوان رؤبة بن العجاج – تح : وليم بن الورد البروسي – ليسيغ ، برلين ، ١٩٠٣م .

- شرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) ، على ألفية ابن مالك – تح : محمد محي الدين عبد الحميد – دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، ١٩٩٩م .

- الكتاب – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ)- تح : وشرح عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج٢: ط ٣، ٢٠٠٦م ، ج٣ : ط ٥ ، ٢٠٠٩م ، ج٤ : ط ٢ ، ١٩٨٢م .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه الأقاويل – أبو القاسم جارالله محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) – القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٣م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) – تح : د٠مازن مبارك ومحمد علي حمد الله – دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٦٩م .
- الميزان في تفسير القرآن - العلامّة السيّد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) – صحّحه وأشرف على طباعته ، فضيلة الشيخ حسين الأعلمي- مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م .
- النحو الوافي – عباس حسن – دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٦٦م .